# الفصل الثالث

## الماسونية بين الإيرانيين

**الماسونية فى أحاديث عبد اللطيف الشوشترى:**

حان الوقت الآن لأن نلقى نظرة على مسيرة الماسونية فى إيران(١). كما أشرنا من قبل فإن الإنجليز قاموا بتأسيس أول محفل ماسونى هندى، وعن طريق هذا المحفل تعرف الناطقون بالفارسية فى الهند والإيرانيون المقيمون فيها لأول مرة على هذه الظاهرة الجديدة هناك، وعن هذا الطريق وإلى حد علمنا فإن مير عبد اللطيف الشوشترى الذى كان قد قضى عشرات السنين من حياته فى الهند كان أول إيرانى يتحدث حول الماسونية، فقد كتب «إن الماسونية لا تتنافى مع أى دين وليس هناك أى حرج على أى شخص يتبع أى دين كان ويريد الانضمام إلى هذه الطائفة» وحول تقاليد ورسوم الماسونية ومنها أسلوب الدخول فى عضوية الطائفة الماسونية كتب عبد اللطيف الشوشترى «يقوم الحاضرون بالترحيب بهذا الشخص الجديد وإحاطته بالحفاوة وتلقينه كلمات الحكمة ويهنئونه على عضويته» ويؤكد عبد اللطيف بشكل خاص على سرية أعمال الماسونية ويعتبر أنه من غير الممكن الحصول على معلومات عن ذلك الذى يحدث داخل ا لمحافل فهو يقول إن الكثيرين من كبار رجال الهند كانوا سيئ الظن بما يحدث داخل المحافل الماسونية وما يقوم به الماسون من أعمال وكانوا يعدون الأوباش بمبالغ نقدية كبيرة قد تصل إلى ٥٠ ألف روبية حتى يلتحقوا بالمحافل الماسونية لإفشاء أسرارها الخفية ولكن هؤلاء الأوباش بذلوا جهودهم لإخفاء هذه الاسرار أيضا وقالوا إن الأفعال الشنيعة التى يعتقدها الناس لا تشاهد على الاطلاق فى هذا المكان» ومع أنهم كانوا فى حاجة إلى الطعام (خبز العشاء) لم يهتموا بهذا المبلغ النقدى الكبير ولم يبادروا بإفشاء أسرار الماسونية.

وعلى ما يبدو أن عبد اللطيف كان يقدر ما بين أتباع الماسونية من تعاون وثيق وتناسق وتنظيم عميق وضمن إعلامنا بأنه فى زمن كتابة كتابه فى سنة ١٨٠١م/ ١٢١٦ هـ «أن كثير من المسلمين فى كلكته كانوا ضمن هذه الطائفة» يقول إن فائدة هذا العمل هو أن الماسون:

«خلال الشدائد والأزمات يكونون فى عون بعضهم البعض فإذا ما تعرض أحدهم لتقلبات الزمان وأصبح من المعدمين يقوم الأخوة الماسون بإعطائه كل واحد منهم شيئا مما يملكه حتى يصبح لديه مال وفير كما أنهم يقومون بإعانة بعضهم البعض فى القضايا والدعاوى القضائية بكل ما لديهم من إمكانيات»(٢).

وعلى هذا فإن عبد اللطيف لم يحاول أن يخطو خطوات أوسع فى سبيل التعريف بأسباب وعلل وجود هذه المنظمة السرية الغامضة ونظراً لأن مؤسسى الماسونية فى الهند كانوا من رعايا وأتباع إحدى الدول الاستعمارية وأنهم أسسوا هذه المنظمة فى أرض لم يضع لها أى برنامج أو تخطيط سوى الاستغلال والانتهازية الاستعمارية فإنه كان يحق لعبد اللطيف على الأقل مثل «كبار رجال الهند» أن يكون على شك شديد تجاه هذه المنظمة، ولكنه لم يفعل ذلك فقط ولم يستفد من ذلك إلى حد ما أيضا لأنه كان يعتبر أن أهالى البنغال (بنكَالةَ) أصلاً من سلالة الحيوانات والحشرات وكان يعتبر عمليات الاستغلال والأعمال الاستعمارية التى يقوم بها الإنجليز فى كلكته عمليات تعمير وتحديث ويعتبر الإنجليز من أصحاب المروءة والكرم واعتبرهم «متحملين لمسئولية الأمن والأمان فى البلاد ورعاية الرعية ونشر العدل ومراعاة أحوال الجند وإحقاق الحق وإعطاء كل ذى حق حقه فى كل مكان من العالم»(٣). وهناك شخص آخر من الإيرانيين مثل عبد اللطيف أورد لنا معلومات حول الماسونية فى الهند وهذا الشخص يدعى أبو الفتح الحسنى الحسيني سلطان الواعظين وهو مجهول حتى الآن وعلى حد علمنا فإن الباحثين لم يقوموا بالبحث فى كتاباته ولكننا يمكننا أن نستنتج من كتابه «سفر نامه وسياحتنامه سلطان الواعظين درهند» أنه فى سنة ١٨٠٦م/١٢٢١هـ قد سافر إلى جهات عديدة فى الهند وقضى هناك عدة سنوات فى إحترام وإعزاز. ومن بين المنظمات والهيئات وليدة ازدواجية الحفارة البرجوازية الغربية التى جذبت انتباهه ولفتت نظره إلى حد ما الماسونية. ويتحدث سلطان الواعظين فى هذا الموضوع بنفس طريقة عبد اللطيف مع الفارق أن عبد اللطيف نفسه يعتبر أن فائدة هذا العمل هو تعاون ومساعدة أعضاء الماسونية لبعضهم البعض فى الشدائد، بينما نجد سلطان الواعظين يكتب هذه الحقيقة نقلاً عن أحد علماء الفرنجة»(٤).

وربما لم ينظر عبد اللطيف إلى تنظيم الماسونية نظرة سيئة بسبب تأييده وحبه للتخطيط الاستعمارى الإنجليزى فى الهند، ولكن كما أوردنا بشكل واحد فى مكان آخر «فإن سلطان الواعظين كان على عداء شديد مع الاستعمار الإنجليزى فى الهند وكان يعلم أن الماسونية لها نشاط سرى خفى وأن كل من كان يدخل إليها كان يقول رداً على منتقديه» إنه لا يتذكر شيئاً عن أحوال هذه المحافل» كما كان على علم بأن الإنجليز الذين سيطروا على الهند بقوتهم الاستعمارية قد أسسوا فرعاً من هذه المنظمة السرية الغامضة فى كلكته ومع هذا كله فإنه مما يثير العجب أن سلطان الواعظين لم يكن يظهر سوء الظن بهذه المنظمة فقط بل أنه كان يعتبرها مفيدة للآخرين»(٥).

ويبدو أنه فى ذلك الوقت الذى كان يكتب فيه عبد اللطيف وسلطان الواعظين حول الماسونية فى الهند أثارت ظاهرة الماسونية وبشكل خاص حفيظة الإيرانيين فى الهند كما حدث نفس الشيء أيضا مع المسافرين الإيرانيين فى الهند، فمن مذكرات ميرزا أبو طالب أصفهانى سنة ١٨٠٣م/ ١٢١٨هـ والذى كان قد زار بنفسه أحد محافل الماسونية فى مدينة لندن ولم ينضم

لعضويتها يتضح لنا أن كثيرين من الإيرانيين الذين كانوا قد ذهبوا إلى بومبى فى صحبة حاجى خليل خان مبعوث فتحلى شاه. قد استفسروا كثيراً عن أوضاع الفرنجة وخاصة عن موضوع الماسونية»(٦).

**أوائل الماسون الإيرانيين:**

على حد علمنا فإن أول إيرانى كان له بالهيئات الحكومية الإيرانية صلة وكان يعيش داخل إيران وأنضم إلى طائفة الماسون كان عسكر خان افشار ارومى. ولأنه كان من القادة العسكريين أولى الأمر فقد سافر فى سنة ١٨٠٨م/ ١٢٢٣هـ فى سفارة إلى فرنسا فى هيئة كاملة متكاملة حيث توجه فى هذه السفارة التى أرسلها فتحعلى شاه القاجارى ونائبه على السلطنة عباس ميرزا ومعه «رسالة فاتحة للمحبة والعلاقة الحميمة» لكى يقيم رابطة الصداقة والمحبة بين إيران وفرنسا(٧)، حتى تستطيع إيران أن تقف فى مواجهة الأيدى الطويلة لروسيا القيصرية التى كانت قد بدأت تطول منذ سنوات طويلة وبشكل واسع وشامل. وفى ذلك الوقت، كان هارفورد جونز، (Harford Jonse) الإنجليزى مشغولا فى إيران بتوريط الحكومة الإيرانية فى السياسة العالمية المعقدة ولكن فى اتجاه استغلال الرأسمالية الإنجليزية(٨)، وكان باقى عملاء الإمبراطورية الإنجليزية فى فرنسا يقومون بإفشال جهود إيران لإقامة علاقة سياسية عسكرية مع فرنسا لصالح إنجلترا.

ويبدو أنه خلال هذا الصراع فإن عسكر خان ارومى الذى كان طبقا لتقرير أحد عملاء نابليون «شديد الاهتمام بالفن والعلم وذا تذوق واضح وكان شخصياً رجلاً عالماً» وكان له اهتمام شديد بمشاهدة التجارب العلمية فى الفيزياء الطبيعية والاشتراك فيها» و «كان على علم بسيط بمجالات العلوم وخاصة فى مجال نقل المعلومات عن طريق البرق»(٩) لم يستخدم فقط علمه وذكاءه لصالح الشعب الإيرانى أو حتى لم يجعل مهمته فى النهاية تهدف إلى تحقيق أهداف مواطنيه بل إنه على العكس من ذلك لم يمض وقت طويل حتى أطل علينا من داخل أحد المحافل الماسونية البريطانية فى باريس باسم «المحفل الفلسفى الاسكتلندى» (Philosophic Scotich Rite) وبعد عدة أيام وصل إلى منصب «الاستاذية» ثم كلف بعد ذلك بتأسيس فرع للماسونية فى إيران(١٠). ويرى كثير من الكتاب أن نتيجة هذا العمل تمثلت فى «أن عسكر خان مبعوث الشاه الإيرانى الذى كان يجب أن يعمل على جذب انتباه ومساعدة نابليون والحكومة الفرنسية لصالح بلاده لم يخطو خطوة واحدة فى هذا السبيل بعد ذلك، وظل باقيا فى باريس لمدة عامين دون الوصول إلى نتيجة»(١١).

وكان الإيرانى الثانى الذى وصلتنا معلومات بأنه كان الشخص الثانى من الإيرانيين المنتمين إلى الحكومة الإيرانية الذى ينضم إلى طائفة الماسون هو ميرزا ابو الحسن خان ايلجى، وكان أيضا من كبار رجال البلاط القاجارى وابن أخت ميرزا ابراهيم كلانتر وزير فتحعلى شاه وكان

الشاه قد غضب عليه وعلى أسرته لأسباب ما وقتل الكثيرين منهم. وكان ايلجى من الأشخاص الذين كان يجب أن يقتلوا ولكن وساطة الكثيرين من رجال البلاط أنقذته من القتل، وكان ايلجى هذا قد قام بمهمة رئاسة وفد من قبل فتحعلى شاه فى سنة ١٨٠٩م/١٢٢٤هـ لكى يذهب إلى لندن ويقوم بتوقيع اتفاقية صداقة بين إيران وانجلترا والتى كان الشاه قد وقعها من قبل وذلك مع كبار المسئولين فى الحكومة الإنجليزية.

وفى هذه الرحلة لم يهتم ميرزا أبو الحسن – مثله فى ذلك مثل عسكر خان افشار ارومى – بالمسيرة التاريخية الحساسة فى هذه اللحظات الحرجة التى كانت حيوية للغاية ومصيرية بالنسبة لتاريخ إيران والأجيال الإيرانية القادمة وألقت بإيران فى تعقدات الحضارة الغربية البرجوازية مزدوجة الوجه. وخلال المدة الطويلة التى توقفها فى إنجلترا لم يقدم على وضع خطة يستطيع على أساسها أى يصل إلى طريقة تستفيد إيران المتخلفة العاجزة من خلالها بالمنجزات الحديثة للحضارة الإنسانية فى الغرب بأسلوب أفضل وأفيد وتتخلص بقدر الإمكان من الوجه الآخر للحضارة الغربية ونعنى به الاستعمار إنه لم يبذل أى جهد لاختيار جوانب مفيدة من الحضارة الغربية بناء على بحث دقيق ويوجد لمواطنيه طريقاً للخلاص ويحذرهم من النتائج السيئة للتحول إلى المظهرية والتجمل وباقى تداعيات الرأسمالية الغربية فى المجتمع الإنسانى.

وقد كتب عن رحلته فى كتاب أسماه «حيرت نامه» تحدث فيه بإسهاب عن وجه العلم والتجريب فى الحضارة البرجوازية الغربية لكنه لم يتحدث كثيراً عن الوجه الآخر لهذه الحضارة الغربية ونعنى به الاستعمار، فقد ولع بالتزين والمظهرية والاحتفاء بمباهج الحياة وزخارفها – تلك المظاهر التى تأتى فى قمة أولويات البرجوازية الإنجليزية – أكثر من أى شيء آخر وانسحب إلى العشق والمحبة وإقامة العلاقات مع الجميلات الإنجليزيات إلى درجة أنه تحدث فى كتابة هذا فى أكثر من ١٥ موقع عن وقوع قلبه فى حبائل الحوريات الجميلات وحفلات الرقص والنزول إلى أماكن اللهو وما إلى ذلك(١٢).

وفى نفس هذه الرحلة وبعدها أيضا دخل فى طائفة عملاء الاستعمار الإنجليزى. وفى تاريخ يونيو ١٨١٠م/ ١٢٢٥هـ كتب «فى الليل كنا ضيوفاً على أحد بيوت الماسون وظهرت لنا حميمية بالغة وقد أصبحت أنا أيضا ماسونياً وتحققت لنا سعادة غامرة»(١٣).

وبهذه الطريقة انضم ايلجى إلى طائفة الماسونية ولا نجد فى كتابته أى حديث آخر حول هذا الموضوع ولكن الكتابات الأخرى التى كتبها هؤلاء الذين أطلعوا على حياته الخاصة تشير إلى أنه كان موضع احترام شديد من قبل جهاز الماسونية الإنجليزى وكانوا يطلقون عليه اسم «صاحب المقام العالى»، وعاد إلى إيران بصحبة جور اوزلى (Gore Ousely) الذى كان قد حصل فى نفس العام على منصب قيادة الماسونية الإقليمية فى إيران وأصبح بعد ذلك فى عام ١٨١١م/ ١٢٢٦هـ وزيراً مفوضاً لجورج الثالث (Gorge III) الملك الإنجليزى فى

إيران وبذل هذان الاثنان جهودهما فى توجيه رجال الدولة الإيرانيين إلى المحافل الماسونية. ونضيف هذه النقطة وهى أن ايلجى كان حتى نهاية عمره أى فى سنة ١٨٤٦م/ ١٢٣٠هـ يتلقى راتبا شهريا من الإنجليز فى مقابل خدماته الصادقة التى يقدمها لهم وخداع وطنه إيران وطالب بأن يتم بعد موته إيداع هذا المرتب فى حساب ابنه ولكنه ووجه بالرفض»(١٤).

وكان ميرزا صالح الشيرازى الكازرونى واحد آخر من الإيرانيين الأوائل الذين انضموا إلى الماسونية بحميمة شديدة. كان قد سافر إلى انجلترا فى سنة ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ وفقاً للبعثة الثانية من الطلبة الإيرانيين الذين أوفدوا للدراسة إلى الخارج وعاش في لندن ما يقرب من أربعة أعوام وكان رجلاً ذا استعداد وولع بالعلوم والفنون الحديثة وتعلم كثيراً خلال فترة بقائه فى لندن وبعد عودته من رحلته هذه التحق بخدمة الدولة وكان من بين أعماله تأسيس مطبعة وصحيفة حكومية وعلى أية حال ظل ميرزا صالح مدة طويلة على رغبته فى الدخول إلى مجمع الماسون حتى رأى مستر بيرسى (Mr. Percy) الأستاذ الأول للماسون إدخاله محفلهم. وفى النهاية وفى رجب ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م «دخل محفل الماسون برفقة مستر برسى والكولونيل دارسى (Colonel D>Arcy) وتناول عشاءه داخل المحفل ورجع فى الساعة الحادية عشر».

وكان ميرزا صالح يحاول أن يتحدث باختصار حول هذا الموضوع لأنه يرى «أنه ليس من الجائز الكتابة حول هذا الموضوع أكثر من هذا»(١٥).

ومع هذا كله، فإنه خلال الأشهر الأخيرة من نفس العام تقابل ميرزا صالح «فى صحن الكنيسة مع مستر هاريس (Mr. Harris) المشهور الذى كان كبير الماسون» ووصل إلى مرتبتين من مراتب الماسونية حيث أعلمه هذا الأخير أنه يجب عليه أن يعد نفسه للعودة إلى إيران خلال أسبوع واحد. وأضاف مستر هاريس: «غداً سيكون المحفل مفتوحاً وإذا جئت إلى هناك مساء الغد سوف أمنحك درجة الأستانية وإلا سوف تذهب إلى إيران ناقصاً». ومن الواضح أن ميرزا صالح الذى «ظل مدة طويلة على رغبته فى الدخول إلى مجمع الماسون» لكى يحصل على «درجة الأستانية» فى ذلك اليوم ٤ نوفمبر ١٨١٨م/ ١٢٣٣هـ «دخل المحفل بعد الظهر بثلاث ساعات وظل هناك سبع ساعات بعد الظهر إلى أن خرج من المحفل بعد العشاء»(١٦).

وبشكل عام، فإن جميع المتخصصين والخبراء الإيرانيين الذين ذهبوا إلى أوروبا خلال القرن التاسع عشر سواء الأمراء القاجاريين المبعوثين مثل رضاقلى، ونجفعلى وتيمور الذين ذهبوا إلى أوروبا فى سنة ١٨٣٥م/ ١٥٢١هـ(١٧)، أو المبعوثين السياسيين – الدبلوماسيين مثل فرخ خان أمين الدولة الذى ذهب إلى أوروبا فى مهمة رسمية عام ١٨٥٧م/ ١٢٧٤هـ قد انضموا إلى طائفة الماسون، وطبقاً للكثير من التقارير فإن الإيرانيين كانوا على ولع شديد بأن يتعرفوا على كيفية الماسونية وقد تم إفهامهم أن الماسونية لها جذور شرقية وعلى الإيرانيين أن يحيوا من جديد هذا التقليد القديم. ورسالة سلطان اويس ميرزا احتشام الدولة ابن الأمير فرهان

ميرزا معتمد الدولة إلى ملكم خان تعتبر دليلاً واضحاً للولع الزائد للمتخصصين الإيرانيين فى العصر القاجارى بالانضمام إلى الماسونية والحصول على عضويتها فقد كتب: «ولكن لمخلص حقيقى لسيادتكم أتخيل إننى سوف أحصل بعطف منكم على درجتين من درجات المحفل الماسونى فى رحلتى هذه وأصبح ماسوناً كاملاً، ففى خدمتى أنهيت الدرجة الثانية ووصلت إلى أول الدرجة الثالثة. ولقد كنت من أهل الصحارى وأصبحت بحمد الله من أهل المدن. ولقد قضيت سنتين من عمرى وشربت من المعين الصافى» والآن يقال أنه يجب أن أحصل من رئيس ذلك المحفل على مكتوب (توصية) وأنا لم أعترض مطلقاً على أى عمل والحمد لله أننى لم أعترض خلال هذه المدة. وإنى أطلب من سيادتكم بكل ود أن تكتبوا إلى كل جهة ترونها أهل لهذا وجديرة به لكى يكون هذا المكتوب فى يدى فىّ أى محفل فى برلين أو باريس أو أى مكان آخر أريد أن أذهب إليه حتى لا أتعرض للرفض»(١٩).

إن نشاط الماسونية وخاصة بالنسبة للمفكرين المجددين الإيرانيين كان جديراً بالتوضيح وذلك لأن شعار «الحرية، الأخوة، المساواة» كان دائماً ما يستخدم كأداة، وربما من نفس الوجهة نجد شخصيات بارزة من شخصيات التحديث والتنوير أمثال جمال الدين الأسد أبادى المشهور بالأفغانى(٢٠) ويوسف خان مستشار الدولة التبريزى يعتبرون من الماسون، كما كان يشاهد من قبل المفكرين المجددين الآخرين أمثال ميرزا فتحعلى اخوندر زاده المحافل الماسونية وسيلة لتحقيق «الوفاق» والبعد عن «العبودية» فقد كتب: «يا أهل إيران! إذا كان لديكم أى علم بنهضة الحرية وحقوق الإنسان لما كنتم قد تحملتم كل هذه العبودية وكل هذا الذل، اطلبوا العلم، افتحوا محافل للماسونية وأسسوا المجامع لها تصلون إلى أساليب الوفاق»(٢١).

ومع هذا كله فإن عبد الفتاح جرمرودى الذى كان كاتباً لأحد كبار المسئولين فى العصر القاجارى ويدعى آجود انباشى وذهب إلى أوروبا فى صحبته عام ١٨٣٨م/ ١٢٥٤هـ يؤكد أن الماسونية تخلو من كل ما هو نافع للدين والدولة(٢٢).

**النشاط السرى فى المحافل السرية:**

يبدو أنه على الرغم من أن عدداً من الأعضاء الإيرانيين فى المحافل الماسونية كانوا يعيشون فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فى إيران، فإنه لم يكن لهم نشاط واضح فى هذا المجال ولكن فى سنة ١٨٥٨م، ١٢٧٥هـ قام ميرزا ملكم خان ناظم الدولة، الذى كان قد انضم فى سنة ١٨٥٧م/ ١٢٧٤هـ إلى عضوية محفل «الصداقة الحقة» (Sincer Amitie) فى باريس(٢٣) بتأسيس محفل سرى للماسونية باسم «فراموشخانه» لأول مرة فى طهران، وقد قيل إن ملكم قد حصل على تأييد من ناصر الدين شاه لإنجاز هذا العمل وقد اعترف بهذا المحفل الإيرانى السرى رسمياً من قبل المحافل الماسونية المعروفة فى العالم، ومع هذا كله، انضم كبير من المتخصصين والعلماء الإيرانيين لهذا المحفل.

وقد تحدثنا كثيراً حول الدوافع والأسباب التى دعت إلى تأسيس مثل هذه المحافل والمنظمات، ولكن من الواضح أن ملكم خان استطاع عن طريق هذا المحفل السرى أن يعرف الإيرانيين على الأفكار الاجتماعية والسياسية الحديثة ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من القوى فى الداخل مثل الأشخاص الذين ليس لهم صلة بالأفكار الحديثة وكثيرا من القوى الخارجية مثل روسيا القيصرية قد أثاروا ناصر الدين شاه ضد المحفل الماسونى فى طهران «فراموشخانه» ولهذا السبب أعلن ناصر الدين شاه فى سنة ١٨٦١م/ ١٢٧٨هـ/ ما يلى:

«لقد نما إلى علمى فى هذه الأيام أن بعض الأوباش والساقطين يتحدثون عن وضع المحفل الماسونى الأوروبى فى طهران» فراموشخانه ويرغبون فى تأسيسه لهذا فقد صدر الحكم صراحة بأنه إذا خرج من فم أى شخص بعد ذلك عبارة أو كلمة «فراموشخانه» بهدف تأسيسه فإنه سوف يتعرض للمساءلة الشديدة والغضب الأشد من قبل الحكومة»(٢٤).

وبهذا تم إغلاق المحفل الماسونى لملكم خان ولكن النشاط السرى السياسى لم يختفْ مطلقاً، فهؤلاء الذين كانوا على صلة بـ «فراموشخانه» اجتمعوا مرة أخرى بشكل سرى وتم تأسيس مجمع «آدميت» لهذا الغرض.

وبعد مقتل ناصر الدين شاه فى سنة ١٨٩٦م/ ١٣١٤هـ أسسوا محفلاً مثل «فراموشخانه» ولكن باسم «مجمع آدميت» وروجوا لأفكار ملكم خان، وكان رئيس هذا المحفل السرى هو عباسقلى خان آدميت وكان أعضاؤه يشكلون من كثير من الخبراء والعلماء والمتخصصين الإيرانيين وكان «جامع آدميت» نفسه هو الذى شارك بفاعلية فى الثورة النيابية (انقلاب مشروطيت) الإيرانية التى بدأت فى عام ١٩٠٦م/ ١٣٢٤هـ وبذل جهوداً فى تحقيق أهداف الثورة. وطبقاً لما كتبه محمود كتيرائى «فإن أشخاصا من أعضاء (جامع آدميت) قاموا بعد ذلك بتأسيس محفل الماسونية»(٢٥) ولكن على حد علمنا فإن فراموشخانه «مجمع آدميت، وجامع آدميت» لم يكن لأى منهم أى صلة تنظيمية بأى من المنظمات الماسونية العالمية ولهذا السبب يبدو أن أعضاء «جامع آدميت» لا يجب تسميتهم بالماسون لمجرد أنهم على صلة بهذه المؤسسة وإسماعيل رائين الذى رجح عضوية كثير من العلماء الإيرانيين أمثال الدكتور/ محمد مصدق لمجرد أنهم أعضاء فى هذه المؤسسة قد تحدث فى هذا الموضوع بشكل يبعد عن الدقة التاريخية وكتابة التاريخ(٢٦). وعلى أية حال فإن «جامع آدميت» تم إغلاقه بأمر من محمد على شاه.

وكان «محفل الأخوة» – انجمن اخوت – من المحافل الأخرى التى كانت سرية فى البداية ثم أصبحت علنية وكان أعضاء هذا المحفل من مريدى الشيخ صفى عليشاه الصوفى نعمت اللهى وقد بدأ هذا المحفل نشاطه العلنى منذ سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ وتحت رئاسة ظهير الدولة صهر ناصر الدين شاه، وساعد فى قيام الثورة النيابية ولكن محمد على دمر بناية هذا المحفل

وطارد أتباعه وشردهم. ومع هذا كله استمر حتى وقت متأخر فى ممارسة أعماله. وحول علاقة «انجمن آخوت» بالماسونية العالمية كتب أنه منذ ذلك التاريخ الذى أعلن فيه علنية هذا المحفل قام ظهير الدولة وميرزا نصر الله خان دبير الممالك وباقى مديرى محفل الأخوة بتأسيس محفل ماسونى فى طهران كفرع من محفل «الشرق الأعظم» (Grand Drient)(٢٧).

وقد كتب آرثر هاردينج (Arthur H. Hardinge) الذى كان موفداً كسفير إنجليزى فى إيران خلال السنوات الأولى من القرن العشرين والذى كان هو وأبوه من الماسون أنه أثناء وجوده فى إيران طلب منه أحد المنتمين إلى الماسونية المنحلة بأمر من ناصر الدين شاه (ويعنى بذلك فراموشخانه ملكم خان) أن يقيم علاقة قوية بين محفلهم والمحفل الأعظم الإنجليزى. ولتحقيق ذلك طلب هاردينج المساعدة من كبار أعضاء الماسونية الإنجليزية ولكنهم لم يعيروا هذا الاقتراح أى اهتمام ولم يوافقوا عليه وذلك لأنهم اعتبروا أن الإشراف على أحد المحافل الماسونية فى دولة بعيدة عن خصائص الماسونية ومميزاتها وجاهلة بها من الأمور الصعبة(٢٨).

**النشاط الماسونى فى القرن العشرين:**

من الممكن أن نستنتج من كثير من الكتابات المتفرقة أنه كانت هناك أنشطة بأسلوب الماسون تتم فى إيران فى نقاط مختلفة فى بداية القرن العشرين. وقد أورد أحد الباحثين الفرنسيين ويدعى هنرى رينيه دالمان (Henry René d>Allemage) قام برحلة إلى مشهد فى سنوات ١٨٩٩م/ ١٢١٧هـ ١٩٠٧م/ ١٣٢٥هـ نموذجاً من هذا النشاط الذى كان يتم فى مشهد حيث قال: «أنه قد تم تأسيس محفل للماسونية فى هذه المدينة يريد أعضاؤه أن يحدثوا فرقة فى صفوف الملالى للتقليل من نفوذهم وسطوتهم وكان شعارهم مثل شعار المحافل الماسونية الأوروبية وهو عبارة عن مثلث وفرجار ولكن لم تكن لهم علاقة مباشرة بالمحافل الماسونية الأوروبية» ولكن يبدو أن أول محفل ماسونى فى إيران اعترف به رسمياً من قبل المنظمات الماسونية العالمية تأسس فى سنة ١٩٠٧م/ ١٣٢٥هـ من قبل نفس المحفل الفرنسى (الشرق الأعظم) وكان اسمه «محفل النهضة الإيرانية» (لزبيدارى إيران) (Lage du Réveil de l>lran)(٢٩). وكان ميرزا صادق خان اميرى فراهانى الشهير بأديب الممالك الشاعر المشهور أحد الذين انضموا إلى (محفل النهضة) وقد أنشد قصيدة طويلة فى مدح (المجمع الماسونى) جاء فيها:

**أشرقت فى فرنسا من الشرق الأعظم**
**شمس شقت قلب الذرة**
**ومن خطوط أشعة تلك الشمس**
**أضيئى بساط الأرض والفلك**

**وشمل النور سطح العالم**
**ووهبت الضياء ابنى آدم**
**حتى ذابت الصخور من ذلك النور**
**وشيدت محفل اليقظة فى إيران**
**إنه مجمع طائفة الماسون**
**الذى بقى من الزمن القديم**
**يعلم الجميع الفكر والعلم**
**دون رياء على إخوة خلصاء(٣٠)**

ويعتبر الكثير من الأشخاص الآخرين الذين انضموا إلى هذا المحفل من كبار الشخصيات النشطة التى شاركت فى الثورة النيابية الإيرانية، وكان حاجى عليقلى خان شردار اسعد بختيارى من بين هؤلاء وهو الذى ظهر كقائد وزعيم للثوار النيابيين فى أصفهان وقام بفتح طهران فى عام ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ ولقد تحدثنا حول الصداقة الحميمة التى ربطت السردار أسعد بالإنجليز وغفلته فى أهداف الثوريين النيابيين وذلك فى بحث آخر(٣١).

ونحن نرى أن العملاء والشخصيات أمثال السردار أسعد بختيارى الماسونى لم يكن لهم دور فى الثورة النيابية إلا تضليل هذه الثورة.

وقد ظهرت بعد ذلك محافل ماسونية أخرى فى مختلف المدن الإيرانية فقد تأسس محفل فى شيراز فى سنة ١٩١٩م/ ١٣٣٨هـ وفى آبادان فى سنة ١٩٢٠م/ ١٣٣٩هـ وفى مسجد سليمان فى سنة ١٩٢٤م/ ١٣٠٣ش، وفى طهران محافل متعددة خلال السنوات بين ١٩٥٩: ١٩٥٧م ١٣٣٠: ١٣٣٦ش حيث اعتبرت مؤسسات مثل (نادى الروتارى) مجلته العربية التى كانت تسمى «الإخاء» وكان يريد تحريرها عباس مسعودى، ونادى الأخوة العالمى (World Brothers> Club) والتسليح الأخلاقى (Moral Rearmament) مرة أخرى ذات صلة واضحة بالماسونية(٣٢).

ومن الواضح أن عدد المحافل الماسونية والمؤسسات التابعة معها لم تكن محدودة بهذا القدر، ويورد أحد الأمريكيين المهتمين بالدراسات الإيرانية ويدى كاتام (R. W. Cattam) إن الساسة الإيرانيين بعد سقوط حكومة مصدق كانوا يبذلون جهداً كبيراً حتى يجدوا لهم سبيلا إلى المنظمات الماسونية، ويضيف على سبيل المثال أنه فى سنة ١٩٥٧م/ ١٣٣٦ ش عندما أصبح الدكتور منوجهر اقبال رئيساً للوزراء – بالإضافة إلى أنه كان زعيما لمنظمة ماسونية قام باختيار عشرة أشخاص فى وزارته من الماسون(٣٣) وفى سنة ١٩٧١م/ ١٣٥٠ س أصدرت الماسونية الأمريكية قائمة للمحافل الماسونية وإحصاء للأعضاء المنضمين إليها وقد ورد فى هذه القائمة اسم المهندس جعفر شريف امامى رئيس مجلس الشيوخ الإيرانى بوصفه (أستاذ

أعظم) واسم أحمد على آبادى بوصفه (أميناً عاماً) وأعلن فى هذه القائمة أن عدد المحافل الماسونية الإيرانية وصل إلى ثلاثين محفلاً كما وصل مجموع عدد الأعضاء فى هذه المحافل إلى ١٠٣٥ عضواً(٣٤).

وبعد ثورة إيران الإسلامية تم الكشف عن أحد مراكز الماسونية وهو الذى كان يسمى «القيادة العليا للعمليات للأستاذ الأعظم جعفر شريف امامى» وذلك فى سنة ١٣٥٧ ش وتم الكشف عن صور مختلفة وقائمة بأسماء أعضاء الماسونية. وقد تماثلت كثير من الأسماء المذكورة فى هذه القائمة مع الأسماء التى كانت قد ذكرت من قبل فى كتاب إسماعيل رائين، واتضح أيضاً أنه فى عهد الشاه محمد رضا بهلوى لم تكن السياسة الإيرانية برمتها فقط فى أيدى الماسون بل أيضا كانت الشئون الاقتصادية الإيرانية وبشكل اساسى فى أيديهم»(٣٥). وبعد ذلك خرجت كتابات أخرى أيضا حول الماسونية وخاصة حول علاقتها بالصهيونية(٣٦) ثم ورد فى أحد الكتب أحاديث حول عداء الماسونية لحركة الغابة (ثورة الغابة) بزعامة ميرزا كوجك خان وثورة الكولونيل محمد تقى بسيان وعلاقة الماسونية بانقلاب الثالث من اسفند ١٢٩٩س(٣٧).

وليس لدينا معلومات موثقة عن متابعة نشاط الماسون الإيرانيين بعد الثورة الإسلامية والخبر الوحيد الذى ورد إلينا بهذا الشأن كان من برنامج خاص ثم إذاعة فى القناة الرابعة للتليفزيون الإنجليزى فى التاسع من مايو عام ١٩٨٨م/ اردى بهشت ١٣٦٧ش، فقد أعلن هذا التليفزيون الإنجليزى على الملأ فى ذلك اليوم أن تشكيلات الماسون الإيرانيين بعد ثورة ١٣٥٧ش انتقلت إلى ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية(٣٨).

# هوامش الفصل الثالث

١ـ لقد تم طباعة هذا الفصل ونشره من قبل ببعض التغيرات باللغة الإنجليزية:
Abdul-Hadi Hairi, «Faramushkhana», EI2 (1982) Supplement, pp. 290-292

٢ـ سيوشدر ، تحفة العالم، ص ٢٥٨ـ٢٥٩.

٣ـ نفسه، ص ٢٧، ٢٧٥، ٣٢٧ : ٣٢٨، ٣٥٤.

٤ـ لمعلومات اكثر حول سلطان الواعظين ووجهات نظره بشأن ازدواجية الحضارة الغربية البرجوازية، انظر: عبد الهادى حائرى، نخسين روياروييهاى انديشه كران ايران با دو رؤية تمدن بورز وازى غرب.

٥ـ نفسه، ص ٤٥٥.

٦ـ ابو طالب اصفهانى، مسير طالبى ياسفرنامه ميرزا ابو طالب خان (١٢١٩ ق.ق.) به كوشش خديو جم (تهران، ١٣٦٣ش)، ص٤٥٤، ولمعلومات أكثر حول علاقة ميرزا أبو طالب بالماسونية انظر الفصل الثامن من هذا الكتاب.

٧ـ عبد الرازق مفتون دنبلى، مآثر سلطانيه: تاريخ جنكهاى إيران روس، به كوشش غلام حسين صدرى افشار (تهران، ١٣٥١ش)، ص١٩٢.

٨ـ لمعلومات حول ضوابط وأساليب السياسة الحاكم فى إيران فى ذلك الوقت انظر: عبد الهادى حائرى، «واكنش ايران بيش ازقاجاردر برابر استعمار غرب» مجلة دانشكده أدبيات «علوم انسانى دانشكاه فردوسى مشهد، ١٦ (١٣٦٢س)، ص ٤٥٧: ٥١٢؛
Harford Brydges – Jones, An Account of the Transactions of His Majesty>s Mission to the court of Persia in the years ١٨٠٧-١٨١١ (Tehran, ١٩٦٧); M.E. Yapp, Strategies of Brithish India: Britain, Iran and Afghanistan ١٧٩٨-١٨٥٠ (Oxford, ١٩٨٠).

٩ـ كنستان «عسكرخان سفير فتحعلى شاه دربارس» بر رسيهاى تاريخى، جلد ٧، شماره ١ (١٣١٥ خورشيدى)، صـ ٧٦-١٦٧.

١٠ـ رائين، فراموشخانه، جلديكم، صـ ٣٠٦، وما بعدها.

١١ـ نفس المرجع، جلديكم، صـ ٣١٣.

١٢ـ فى هذا الشأن انظر: ابو الحسن ايلـچى، محيرت نامه» النسخة الفارسية المخطوطة، مكتبة مجلس الشورى الإسلامى، شماره ٩٩٢١، صـ ١٢٨، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥-١٤٧-١٥١-١٧٤-١٨٠-١٨٦، ٢٠١ ـ ٢٠٥ ـ ٢١٢ ـ ٢١٥ ـ ٢٢٧ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٣١٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ و٣٥٢.

نُشر هذا الكتاب حديثاً غير أنه تم تنقيحه «رغبة فى الحفاظ على مراعاة القيم الثقافية» و»بسبب عدم تعنف القلم» حذف ابو الحسن فان ايلـچى هذه الأمرو من متن الكتاب. فكان لابد من أن نحيل القراء فى هذا المجال إلى النسخة المخطوطة للكتاب؛ وانظر النسخة المطبوعة لـ حيرت نامه، به كوشش حسن

مرسل وند (تهران ١٣٦٤ خورشيدى)، صـ ١٢٠، ١٦٣. وتسهيلاً لعملية المراجعة سنحيل القارئ فى المواضع الأخرى إلى النسخة المطبوعة.

إيلچى، حيرت نامه، صـ ٣٣٣.

لمعلومات أكثر فى هذا الشأن انظر: إسماعيل رائين، ميرز أبو الحسن خان إيلچى، (تهران ١٣٥٧ خورشيدى)؛ نفس المؤلف، حقوق بگيران انگليس درايران (تهران، ١٣٤٧ خورشيدى)؛ هماناطق، مصيبت وباوبلاى حكومت (تهران، ١٣٥٨ خورشيدى)، صـ ١١١.

ميرزا صالح شيرازى، گزارش سفر ميرزا صالح شيازى (كازرونى) المشهد ربه مهندس، بمراجعة: همايون شهيدى (تهران، ١٣٦٢ خورشيدى)، صـ ١٨٨.

١٣- إيلچى، حيرت نامه، صـ ٣٣٣.

١٤- لمعلومات أكثر فى هذا الشأن انظر: إسماعيل رائين، ميرز ابو الحسن خان إيلچى، (تهران ١٣٥٧ خورشيدى)؛ نفس المؤلف، حقوق بگيران انگليس درايران (تهران، ١٣٤٧ خورشيدى)؛ هما ناطق، مصيبت وباوبلاى حكومت (تهران، ١٣٥٨ خورشيدى)، ص ١١١.

١٥- ميرزا صالح شيرازى، گزارش سفر ميرزا صالح شيرازى (كازرونى) المشهد ربه مهندس، بمراجعة: حمايون شهيدى (تهران، ١٣٦٢ خورشيدى)، صـ١٨٨.

١٦- نفس المرجع، صـ ٣٥٨-٣٥٩.

١٧- J. BF Raser, Narratives of the residence of the persian princes in London in ١٨٥٣ and ١٨٣٦ (N. ٤. ١٩٧٣).

١٨- رائين، فراموشخانه، جلديكم، صـ ٤٦٨.

١٩- جها نگير قائم مقامى، «جند سند مربوط به تاريخ فراموشخانه درايران»، يغما، ١٦ (١٣٤٢ خورشيدى)، صـ ٤٠٥.

٢٠- فى هذا الشأن انظر الفصل الخامس من الكتاب.

٢١- فريدون آدميت، انديشه هاى ميرزا فتحعلى آخوزاده (تهران، ١٣٤٩ خورشيدى)، صـ ١٤٨-١٤٩.

٢٢- محمد مشيرى، شرح ماموريت أجود انباشى (حسين خان نظام الدولة) درسفارت اطريش، فرانسه، انگستان (تهران، ١٣٤٧ خورشيدى)، صـ ٣٩٨.

٢٣- Hanid Alger, Mirya Malhum khan:Astudy in the history of Iranian.

٢٤- كتيرائى، فراماسونرى درايران، صـ ٧٤.

٢٥- نفس المرجع، صـ ٩٥.

٢٦- رائين، فراموشخانه، جلديكم، صـ ٦٤٠.

٢٧- كتيرائى، فراماسونرى درايران، صـ ٩٦ وما بعدها.

٢٨- Arthur H. Hardinge. Asirlomatist in the Eayt (London ١٩٢٨), p. ٧٧.

كتب هارديج قبل الثورة الدستورية الايرانيه بعدة سنوات ١٣١٩/هـ١٩٠١م فى مسألة الماسون الإيرانيين رسالة إلى وزارة الخارجية الإنجليزية جاء نصها بالفارسية فى هذا الكتاب: إسماعيل رائين، أنجمنهاى سرى در انقلاب مشروطيت إيران (إيران، ١٣٥٥ خورشيدى) صـ ٤٥-٥٥.

٢٩- لمزيد من المعلومات حول نهضة المحافل الماسونية انظر:

P. Sabratiennes, «Pour Une histoire de la Premiere Loge Maco - nique en Iran» Revue de L»univ. De Bruxelles (١٩٦٦), ٩١٩٤٢.

ومن أجل مراجعة حديث هنري رينيه دالمان انظر إلى كتابه: سفر نامه از خراسان تا نجتياري، ترجمة ونگارش فره وشي (مترجم همايون) (تهران، ١٣٣٥ خورشيدى)، صـ ٧ وما بعدها و٦١٨.

٣٠- كتيرائى، فراماسونرى درايران، صـ ٢٣٥ وما بعدها.

٣١- عبد الهادى حائرى «سخنى چيرامون دركيرى نيروها وبرخورد ديدگاهادر انقلاب مشروطيت إيران»، فرخنده بيام: يادگارنامه استاد وكتر إلا محسين يوسفى (مشهد، ١٣٦٠ خورشيدى)، صـ ٧٠-٥٣٦؛ نفس المؤلف، تشيع ومشروطيت درايران، صـ ١١٨ وما بعدها.

٣٢- رائين، فراموشخانه، جلدسوم، صـ ٤٦٥ وما بعدها؛ حماده، الروتارية والروتاريون، صـ ٢٠٦ وما بعدها.

٣٣- Richard W. Cottam, Nationalism in Gran (Pittsburgh, U.S.A., ١٩٦٧), p. ٢٣٦.

٣٤- Anonynous, ١٩٧١ List of Lodges, p. ١٢٤.

٣٥- محمد رضا لاريجانى، فراماسون: اسرار سازمان ماسون درايران به مناسبت كشف مخفى گاه فراما سونها (تهران، ١٣٥٨ خورشيدى)، صـ ٣، ٦٨ وما بعدها.

٣٦- انظر على سبيل المثال: م.ح. زاوش، رابطة تاريخى فراماسونرى باصهيونيسم وامير بالبسم (تهران، ١٣٦١ خورشيدى).

٣٧- نفس المؤلف، نقش فراما سونهادر رويداد هاى تاريخى واجتماعى إيران (تهران، ١٣٦١ خورشيدى).

٣٨- كيمان هوايى، شمارة ٧٧٧، صـ ١١. ولمزيد من الاطلاع حول الماسونية فى إيران انظر م.ح. زاوش، نقد وتحقيق درتاريخ معاصر إيران: نخستين كار گزاران استعمار (تهران ١٣٣٦ خورشيدى)؛ محمود عرفان، «فراموشخانه» يغما، جلد ٢ (١٣٢٨ خورشيدى)؛ محمود محمود، تاريخ روابط سياسى إيران وانگليس درقرن نوزدهم ميلادى (تهران، ١٣٥٣ خورشيدى)، جلد پنجم وهضتم، مهدى ملكزاده، تاريخ انقلاب مشروطيت إيران (تهران ١٣٢٨ خورشيدى)، جلديكم؛ سعيد نفيسى، نيمه راه بهشت (تهران، ١٣٣٢ خورشيدى)؛ فرشته نورائى، تحقيق درا فكار ملكم فان ناظم الدولة (تهران، ١٣٥٢ خورشيدى).